@ 502 @ السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * ا لا إل ه إلا هو له الأسمآء الحسنى) ^ ^ (طه) ^ من جملة الحروف المقطعة ، المفتتح بها كثير من السور ، وليست اسما للنبي صلى ا عليه وسلم . ^ (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ^ أي : ليس المقصود بالوحي ، وإنزال القرآن عليك ، وشرع الشريعة ، لتشقى بذلك ، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين وتعجز عنه قوى العاملين . وإنما الوحي ، والقرآن والشرع ، شرعه الرحيم الرحمن ، وجعله موصلا للسعادة ، والفلاح ، والفوز ، وسهله غاية التسهيل ، ويسر كل طرقه وأبوابه ، وجعله غذاء للقلوب والأرواح ، وراحة للأبدان ، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة ، بالقبول ، والإذعان ، لعلمها بما احتوى عليه ، من الخير في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال : ^ (إلا تذكرة لمن يخشى) ^ أي : إلا ليتذكر به من يخشى ا تعالى ، فيتذكر ما فيه من الترغيب ، لأجل المطالب ، فيعمل بذلك ، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران ، فيرهب منه ، ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة ، التي كانت مستقرا في عقله حسنها مجملا ، فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله ، ولهذا سماه ا ^ (تذكرة) ^ . والتذكرة لشيء كان موجودا ، إلا أن صاحبه غافل عنه ، أو غير مستحضر لتفصيله . وخص بالتذكرة ^ (من يخشى) ^ لأن غيره لا ينتفع به ، وكيف ينتفع به من لم يؤمن بجنة ولا نار ، ولا في قلبه من خشية ا مثقال ذرة ؟ هذا ما لا يكون . ^ (سيذكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى) ^ . ثم ذكر جلالة هذا القرآن العظيم ، وأنه تنزيل خالق الأرض والسموات ، المدبر لجميع المخلوقات ، أي : فاقبلوا تنزيله ، بغاية الإذعان ، والمحبة ، والتسليم ، وعظموه نهاية التعظيم . وكثيرا ما يقرن بين الخلق ، والأمر ، كما في هذه الآية ، وكما في قوله : ^ (ألا له الخلق والأمر) ^ وفي قوله : ^ (ا الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن) ^ وذلك أنه الخالق الآمر الناهي ، فكما أنه لا خالق سواه ، فليس على الخلق إلزام ، ولا أمر ، ولا نهي إلا من خالقهم ، وأيضا ، فإن خلقه للخلق ، فيه من التدبير القدري الكوني ، وأمره ، فيه التدبير الشرعي الديني ، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة ، فلم يخلق شيئا عبثا ، فكذلك لا يأمر ولا ينهى ، إلا بما هو عدل ، وحكمة ، وإحسان . فلما بين أنه الخالق المدبر ، الآمر الناهي ، أخبر عن عظمته وكبريائه ، فقال : ^ (الرحمن على العرش) ^ الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها ، وأوسعها . ^ (استوى) ^ استواء يليق بجلاله ، ويناسب عظمته وجماله ، فاستوى على العرش ، واحتوى على الملك . ^ (له ما في

السموات وما في الأرض وما بينهما) ^ من ملك وإنسي وجني ، وحيوان ، وجماد ، ونبات . ^ (وما تحت الثرى) ^ أي : الأرض ، فالجميع ملك ، تعالى عبيد مدبرون مسخرون ، تحت قضائه وتدبيره ليس لهم من الملك شيء ، ولا يملكون لأنفسهم ، نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا . ^ (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر) ^ الكلام الخفي ^ (وأخفى) ^ من السر ، الذي في القلب ، ولم ينطق به ، أو السر : ما خطر على القلب ^ (وأخفى) ^ : ما لم يخطر ، يعلم تعالى أنه يخطرفي وقته ، وعلى صفته . المعنى : أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، دقيقها ، وجليها ، خفيها ، وظاهرها ، فسواء جهرت بقولك أو أسررته ، فالكل سواء ، بالنسبة لعلمه تعالى . فلما قرر كماله المطلق ، بعموم خلقه ، وعموم أمره ونهيه ، وعموم رحمته ، وسعة عظمته ، وعلوه على عرشه ، وعموم ملكه ، وعموم علمه ، نتج من ذلك ، أنه المستحق للعبادة ، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع ، والعقل ، والفطرة . وعبادة غيره باطلة ، فقال : ^ (ا لا إله إلا هو) ^ أي : لا معبود بحق ، ولا مألوه بالحب والذل ، والخوف والرجاء ، والمحبة والإنابة والدعاء ، إلا هو . ^ (له الأسماء الحسنى) ^ أي : له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى ، من حسنها ، أنها كلها ، أسماء دالة على المدح ، فليس فيها ، اسم لا يدل على المدح والحمد ، ومن حسنها ، أنها ليست أعلاما محضة ، وإنما هي أسماء وأوصاف . ومن حسنها ، أنها دالة على الصفات الكاملة ، وأن له من كل صفة ، أكملها ، وأعمها ، وأجلها ، ومن حسنها ، أنه أمر العباد أن يدعوه بها ، لأنها وسيلة مقربة إليه ، يحبها ، ويحب من يحبها ، ويحب من يحفظها ، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها ، قال تعالى : ^ (و الأسماء الحسنى فادعوه بها) ^ . ^ (وهل أتاك حديث موسى * إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلمآ أتاها نودي يموسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * إنني أنا ا لا إل ه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) ^ يقول تعالى لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم على وجه الاستفهام التقريري والتعظيم لهذه القصة والتفخيم لها : ^ (وهل أتاك حديث موسى) ^ في حاله التي هي مبدأ سعادته ، ومنشأ نبوته ، أنه رأى نارا من بعيد ، وكان قد ضل الطريق ، وأصابه